www.fiseb.com
المكتبة الالكترونية المجانية
اسهل الطرق لمعرفة الكتاب الالكتروني

تنوير الحلك
في إمكان رؤية النبي والملك
للسيوطي

الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي / الجزء الثاني
الفتاوى المتعلقة بالتصوف
تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد

فقـد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وإن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه وادعـوا أنه مستحيل فألفت هذه الكراسة في ذلك وسميتها تنوير الحلك في إمكان رؤية النبـي والملك ونبدأ بالحديث الصحيح الوارد في ذلك: أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عـن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المـنام فسـيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي ، وأخرج الطبراني مثله من حديث مـالك بـن عـبد الله الخثعمي ومن حديث أبي بكرة ، وأخرج الدارمي مثله من حديث أبـي قتادة . قال العلماء اختلفوا في معنى قوله فسيراني في اليقظة فقيل معناه فسيراني فـي القيامة وتعقب بأنه بلا فائدة في هذا التخصيص لأن كل أمته يرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره ، وقيل المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا عنه فيكون مبشرا له أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته ، وقال قوم هو على ظاهره فمن رآه فـي الـنوم فلا بد أن يراه في اليقظة يعني بعيني رأسه وقيل بعين في قلبه حكاهما القاضـي أبـو بكـر ابن العربي، وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في تعليقه على الأحاديـث التي انتقاها من البخاري : هذا الحديث يدل على أنه من رآه صلى الله عليه وسـلم فـي النوم فسيراه في اليقظة وهل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته أو هذا كـان فـي حياته وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والإتباع لسنته علـيه السـلام اللفـظ يعطـى العمـوم ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم فمتعسف قال وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه وقال علـى ما أعطاه عقله وكيف يكون من قد مات يراه الحي في عالم الشاهد قال وفي قول هذا القول من المحذور وجهان خطران أحدهما عدم التصديق لقول الصادق عليه السلام الذي

[ص ٤٧٤]

لا ينطق عن الهوى والثاني الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصـة البقرة وكيف قال الله تعالى ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى ﴾(١) وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير وقصة عزير فالذي جعل ضرب الميت بـبعض البقرة سببا لحياته وجعل دعاء إبراهيم سبباً لإحياء الطيور وجعل تعجب عزير سـبباً لموته وموت حماره ثم لإحيائها بعد مئة سنة قادر أن يجعل رؤيته صلى الله عليه وسـلم فـي النوم سببا لرؤيته في اليقظة وقد ذكر عن بعض الصحابة أظنه ابن عباس رضـي الله عنهما أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فتذكر هذا الحديث وبقي يفكـر فـيه ثـم دخل على بعض أزواج النبي أظنها ميمونة فقص عليها قصته فقامت وأخرجـت له مرآته صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه فنظرت في المرآة فرأيت صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم أر لنفسي صورة قال وقد ذكر عن بعض السلف والخلف وهلم جرا ممن كانوا رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم وكانوا ممن يصدقون بهذا الحديث فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقـص قال والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يصدق بكرامات الأولياء أو يكذب بها فإن كان ممـن يكذب بها فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة وإن كان مصدقا بها فهذه من ذلك القبيل لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالميـن العلـوي والسفلي عديدة فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك انتهى كلام ابن أبي جمـرة. وقولـه إن ذلك عام وليس بخاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه السلام مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرة واحدة تحقيقا لوعـده الشريف الذي لا يخلف وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا يخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حـياتهم إما كثيرا وإما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة، والإخلال بالسنة مانع كبير .

أخرج مسلم في صحيحه عن مطرف قال : قال لي عمران بن حصين قد كان

[ص ٤٧٥]

---

(١) (البقرة: من الآية٧٣)

يسـلم علـي حـتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد وأخرج مسلم من وجه آخر عن مطـرف قـال بعث إلى عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فقال إني محدثك فإن عشـت فاكتم عني وإن مت فحدث بها إن شئت إنه قد سلم عليّ ، قال النووي في شرح مسلم معنى الحديث الأول أن عمران بن حصين كانت به بواسير فكان يصبر على ألمها وكانـت الملائكـة تسلم عليه واكتوى وانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سلامهم علـيه، قال وقوله في الحديث الثاني فإن عشت فاكتم عني أراد به الإخبار بالسلام عليه لأنه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت، وقال القرطبي في شرح مسلم يعني أن الملائكة كانت تسلم عليه إكراما له واحتراما إلى أن اكـتوى فتركـت السلام عليه ففيه إثبات كرامات الأولياء انتهى، وأخرج الحاكم في المسـتدرك وصـححه من طريق مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال اعلم يـا مطـرف أنه كان يسلم على الملائكة عند رأسي وعند البيت وعند باب الحجرة فلما اكتويـت ذهـب ذاك قال فلما برأ كلمه قال اعلم يا مطرف أنه عاد إلي الذي كنت اكتم علي حتى أموت. فانظر كيف حجب عمران عن سماع تسليم الملائكة لكونه اكتوى مع شدة الضرورة الداعية إلى ذلك لأن الكي خلاف السنة، قال البيهقي في شعب الإيمان لو كان النهي عن الكي على طريق التحريم لم يكتو عمران مع علمه بالنهي غير أنه ركب المكروه ففارقه ملك كان يسلم عليه فحزن على ذلك وقال هذا القول ثم قد روي أنه عاد إليه قبل موته انتهى. وقال ابن الأثير في النهاية يعني أن الملائكة كانت تسلم عليه فلما اكـتوى بسـبب مرضه تركوا السلام عليه لأن الكي يقدح في التوكل والتسليم إلى الله والصبر على ما يبتلى به العبد وطلب الشفاء من عنده وليس ذلك قادحا في جواز الكي ولكـنه قادح في التوكل وهي درجة عالية وراء مباشرة الأسباب ، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن قتادة أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت عنه، وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة

[ص ٤٧٦]

عـن يحـيى بن سعيد القطان قال ما قدم علينا البصرة من الصحابة أفضل من عمـران ابن حصين أتت عليه ثلاثون سنة تسلم عليه الملائكة من جوانب بيته، وأخرج الترمذي في تاريخه وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة عن غزالة قالت كان عمران بن حصـين يأمرنا أن نكنس الدار ونسمع السلام عليكم السلام عليكم ولا نرى أحداً ، قال الـترمذي هذا تسليم الملائكة . وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتاب المنقذ من

الضـلال ثم أنني لما فرغت من العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية والقدر الذي اذكـره لينـتفع بـه أنني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطرق الله وأن سيرهم وسيرتهم أحسن السير وطريقهم أحسن الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقـلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئاً من سـيرهم وأخلاقهـم ويـبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظواهرهم وبواطنهم مقتبس وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضـاء بـه إلى أن قال حتى أنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسـمعون مـنهم أصـواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يرتقي الحال من مشاهدة الصور والأمـثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق هذا كلام الغزالي، وقال تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتاب قانون التأويل ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصـل للإنسان طهارة النفس في تزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد أسباب الدنيا مـن الجـاه والمال والخلطة بالجنس والإقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع أقولهم واطلع على أرواح الأنبياء وسمع كلامهـم، ثـم قال ابن العربي من عنده ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمـن كرامة وللكافر عقوبة انتهى. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكـبرى وقـال ابن الحاج في المدخل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذلك إلا من كان على

[ص ٤٧٧]

صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا مع أننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابـر الذين حفظهم الله في ظواهرهم وبواطنهم . قال وقد أنكر بعض علماء الظاهر رؤيـة النبـي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقاء والرائي في دار الفناء. وقد كان سـيدي أبو محمد بن أبي جمرة يحل هذا الإشكال ويرده بأن المؤمن إذا مات يرى الله وهـو لا يموت والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة انتهى. وقال القاضي شرف الديـن هـبة الله بن عبد الرحيم البارزي في كتاب توثيق عرى الإيمان قال البيهقي في كتاب الاعتقاد الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقـد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صـلاتنا معروضـة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل

لحـوم الأنبياء قال البارزي وقد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة حيا بعد وفاته قال وقد ذكر ذلك الشيخ الإمام شيخ الإسـلام أبـو البيان نبا ابن محمد بن محفوظ الدمشقي في نظيمته انتهى . وقال الشيخ أكمـل الديـن البابرتـي الحنفـي فـي شرح المشارق في حديث من رآني: الاجتماع بالشخصـين يقظـة ومناما لحصول ما به الاتحاد وله خمسة أصول كلية الاشتراك في الـذات أو في صفة فصاعداً أو في حال فصاعداً أو في الأفعال أو في المراتب وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصـان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بيـنه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء. وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته والشيخ عفيف الدين اليافعي في روض الرياحين قال الشيخ الكبير قـدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشي لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهت لأن أدعو فقيل لي لا تدع فما يسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء . [ص ٤٧٨]

فسـافرت إلـى الشام فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقاني الخلـيل فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عـنهم . قـال اليافعي وقوله تلقاني الخليل قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غـير أمـوات كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى موسى عليه السلام في الأرض ونظره أيضا هو وجماعة من الأنبياء في السماوات وسمع منهم مخاطبات وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي.

وقـال الشـيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الأولياء قال الشيخ عبد القادر الكيلانـي رأيـت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لي يا بني لم لا تتكلم قلـت يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهـر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج عليّ فرأيت عليا قائما بأزائي في المجلس فقال لي يا بني لم لا تتكلم قلت يا أبتاه قد ارتج علي فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا

فقلت لم لا تكملها سبعا قال أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عني فقلت غـواص الفكر يغوص في بحر القلب على در المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فيـنادي عليها ترجمان اللسان فتشتري بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن تـرفع. وقـال أيضـا في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي كان كثير الرؤية لرسـول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما فكان يقال أن أكثر أفعاله متلقاة منه بأمر منه إما يقظة وإما مناما ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في إحداهن يا خليفة لا تضجر مني كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي . وقال الكمال الأدفوي في الطالع السـعيد فـي تـرجمة الصـفي أبي عبد الله محمد بن يحيى الأسواني نزيل أخميم من أصـحاب أبي يحيى بن شافع كان مشهورا بالصلاح وله مكاشفات وكرامات كتب عنه ابن دقيق العيد

[ص ٤٧٩]

وابن النعمان والقطب العسقلاني وكان يذكر أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع بـه. وقال الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي في كتابه الوحيد من أصحاب الشيخ أبي يحـيى أبو عبد الله الأسواني المقيم بأخميم كان يخبر أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ساعة حتى لا تكاد ساعة إلا ويخبر عنه. وقال في الوحيد أيضا كان للشيخ أبـي العـباس المرسي وصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه السلام ويجاوبه إذا تحدث معه . وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي يا سيدي صافحني بكفك هذه فإنك لقيت رجالا وبلادا فقال والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قـال وقـال الشيخ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسـي من المسلمين. وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته والشيخ عبد الغفـار فـي الوحيد حكي عن الشيخ أبي الحسن الوناني قال أخبرني الشيخ أبو العباس الطنجـي قـال وردت على سيدي أحمد بن الرفاعي فقال لي ما أنا شيخك شيخك عبد الرحـيم بقنا فسافرت إلى قنا فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال لي عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا قال رح إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعـرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت إلى الشيخ فقال لي عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال الآن كملت طريقتك لم تكن الأقطاب أقطاباً والأوتاد أوتاداً والأولياء أولياءً إلا بمعرفته صلى الله عليه وسلم

وقال في الوحيد وممن رأيته بمكة الشيخ عبد الله الدلاصي أخبرني أنه لم تصح له صلاة في عمره إلا صلاة واحدة قال وذلك أني كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إماما وخلفه العشرة فصليت معهم وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين وستمائة فقرأ صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى سورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون فلما سلم دعا بهذا الدعاء : اللهم اجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين لا طمعا في برك

[ص ٤٨٠]

ولا رغبة فيما عندك لأن لك المنة علينا بإيجادنا قبل أن لم نكن فلك الحمد على ذلك لا إله إلا أنت. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم الإمام فعقلت تسليمه فسلمت. وقال الشيخ صفي الدين في رسالته: قال لي الشيخ أبو العباس الحرار دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير للأولياء بالولاية وكتب لأخي محمد منهم منشورا قال وكان أخو الشيخ كبيرا في الولاية كان على وجهه نور لا يخفى على أحد أنه ولي فسألنا الشيخ عن ذلك فقال نفخ النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه فأثرت النفخة هذا النور . قال الشيخ صفي الدين ورأيت الشيخ الجليل الكبير أبا عبد الله القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية وكان له بالنبي صلى الله عليه وسلم وصلة وأجوبة ورد للسلام حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة للملك الكامل وتوجه بها إلى مصر وأداها وعاد إلى المدينة ، قال وممن رأيت بمصر الشيخ أبا العباس العسقلاني أخص أصحاب الشيخ القرشي زاهد مصر في وقته وكان أكثر أوقاته في آخر عمره بمكة يقال أنه دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله بيدك يا أحمد . وحكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثا فقال له الولي هذا الحديث باطل فقال الفقيه ومن أين لك هذا فقال هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول أني لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه. وفي كتاب المنح الالهية في مناقب السادة الوفائية لابن فارس قال سمعت سيدي علي رضي الله عنه يقول كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته يوما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص علي فقال لي اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح ثم غاب عني فلما أن بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني

وقـال لـي ﴿ وَأَما بِنِعْمَةِ رَبكَ فَحَدثْ ﴾(١) فأوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى . وفي بعض المجاميع حج سيدي

[ص ٤٨١]

أحمد الرفاعي فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد :

فـي حالـة الـبعد روحي كنت أرسلها تقـبل الأرض عنـي فهـي نائبتـي

وهـذه نوبـة الأشـباح قـد حضـرت فـامدد يميـنك كـي تحظـى بها شفتي

فخرجـت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها. وفي معجم الشيخ برهان الدين البقاعـي حدثني الإمام أبو الفضل ابن أبي الفضل النويري أن السيد نور الدين الأيجي والـد الشريف عفيف الدين لما ورد إلى الروضة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبي ورحمـة الله وبـركاته وسـمع من كان بحضرته قائلا من القبر يقول وعليك السلام يا ولـدي. وقال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه أخبرني أبو أحمد داود بن علي بـن هبة الله بن المسلمة أنا أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن النقور قال حكى شـيخنا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الصوفي الكرخي قال حججت وزرت النبي صلى الله عليه وسلم فبينا أنا جالس عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكـر الديـار بكري ووقف بإزاء وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا رسول الله فسمعت صوتا من داخل الحجرة وعليك السلام يا أبا بكر وسمعه من حضر. وفـي كـتاب مصـباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للإمام شمس الدين محمد بن موسـى بن النعمان قال سمعت يوسف بن علي الزناني يحكي عن امرأة هاشمية كانت مجـاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت فاستغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا من الروضة يقول أما لك فيّ أسوة فاصبري كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني. وقال ابن السمعاني في الدلائل أخبرنا أبو بكر هبة الله بن الفرج أخبرنا أبو القاسم يوسف بن محمد ابن يوسف الخطيب أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن تميم المؤدب حدثنا علي بن إبراهيم بـن علان أخبرنا علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن الهيثم الطائي حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله

---

(١) (الضحى:١١)

[ص ٤٨٢]

عنه قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولـك ووعيـت عـن الله فأوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿ وَلَوْ أَنهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَواباً رَحِيماً ﴾(١) وقد ظلمـت نفسـي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك ، ثم رأيت في كتاب مزيل الشبهات في إثبات الكرامات للإمام عماد الدن إسماعيل بن هبة الله بن باطيس ما نصـه: ومن الدليل على إثبات الكرامات آثار منقولة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم منهم الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها إنما هما أخواك وأختاك قالت هذان أخواي محمد وعبد الرحمن فمن أختاي وليس لي إلا أسماء فقال ذو بطـن ابـنة خارجـة قد ألقى في روعي أنها جارية فولدت أم كلثوم . ومنهم عمر بن الخطـاب رضـي الله عنه في قصة سارية حيث نادى وهو في الخطبة يا سارية الجبل الجـبل فأسـمع الله سـارية كلامه وهو بنهاوند ، وقصته مع نيل مصر ومراسلته إياه وجـريانه بعد انقطاعه. ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عبد الله بن سلام ثم أتيـت عـثمان لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا بأخي رأيت رسول الله صلى الله علـيه وسـلم في هذه الخوخة فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فـأدلى لـي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى أني لأجد برده بين ثدييّ وبين كتفي فقـال إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم انتهى. وهذه القصة مشهورة عن عثمان مخرجة في كتب الحديث بالإسناد أخرجها الحـارث بن أبي أسامة في مسنده وغيره وقد فهم المنصف منها أنها رؤية يقظة وإن لم يصـلح عدهـا في الكرامات لأن رؤية المنام يستوي فيها كل أحد وليست من الخوارق المعدودة في الكرامات ولا ينكرها من ينكر

[ص ٤٨٣]

كـرامات الأولياء . ومما ذكره ابن باطيس في هذا الكتاب قال ومنهم أبو الحسين محمد بن سمعون البغدادي الصوفي قال أبو طاهر محمد بن علي العلان حضرت أبا الحسين بن سمعون يوما في مجلس الوعظ وهو جالس على كرسيه يتكلم فكان أبو الفتح القواس

---

(١) (النساء: من الآية٦٤)

جالسـا إلى جنب الكرسي فغشيه النعاس ونام فأمسك أبو الحسين ساعة من الكلام حتى اسـتيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له أبو الحسين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومك قال نعم قال أبو الحسين لذلك أمسكت عن الكلام خوف أن تنزعج وينقطع ما كنت فـيه. فهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لما حضر ورآه أبـو الفـتح في نومه، وقال أبو بكر بن أبيض في جزئه سمعت أبا الحسن بنانا الحمال الـزاهد يقول حدثني بعض أصحابنا قال كان بمكة رجل يعرف بابن ثابت قد خرج من مكة إلى المدينة ستين سنة ليس إلا للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرجع فلما كان في بعض السنين تخلف لشغل أو سبب فقال بينا هو قاعد في الحجرة بين النائم واليقظان إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن ثابت لم تزرنا فزرناك.

(تنبيهات) الأول: أكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بالقلب ثم يترقى إلى أن يرى بالبصر ، وقد تقدم الأمران في كلام القاضي أبي بكر بن العربي لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره . وقد تقدم عـن الشيخ عبد الله الدلاصي فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صـلى الله علـيه وسـلم فأشـار بقوله أخذه إلى هذه الحالة. الثاني: هل الرؤية لذات المصـطفى صـلى الله علـيه وسلم بجسمه وروحه أو لمثاله؟ الذين رأيتهم من أرباب الأحـوال يقولون بالثاني وبه صرح الغزالي فقال ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه بل مـثالا له صـار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه قال والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية والنفس

[ص ٤٨٤]

غـير المـثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مـثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشـكل والصـورة ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غـيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله في المنام لا يعني أني رأيت ذات الله كما تقول في حق غيره انتهى .

وفصـل القاضـي أبـو بكـر بن العربي فقال رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال . وهذا الذي قاله في

غاية الحسن ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم بالخروج من قبورهم والتصـرف فـي الملكوت العلوي والسفلي . وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء . وقال في دلائل النبوة الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء. وقال في كتاب الاعتقاد الأنبياء بعـد مـا قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء . وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبينا صلى الله علـيه وسـلم حي بعد وفاته وأنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته . وقال أن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئا . وقد مات موسى في زمانه فأخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنه رآه في قبره مصـليا. وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة ورأى آدم وإبراهيم وإذا صـح لـنا هذا الأصل قلنا نبينا صلى الله عليه وسلم قد صار حيا بعد وفاته وهو على نبوته انتهى. وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة نقلا عن شيخه : الموت ليس بعـدم محـض وإنما هو انتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشـهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى . وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه صـلى الله علـيه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى قائما يصلي في قبره وأخبر صلى

[ص ٤٨٥]

الله علـيه وسـلم أنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى عير ذلك مما يحصل من جملـته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كـانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودين أحياء ولا يراهم أحد مـن نوعنا إلا من خصه الله تعالى بكرامته انتهى. وأخرج أو يعلى في مسنده والبيهقي فـي كـتاب حياة الأنبياء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصـور. وروى سفيان الثوري في الجامع قال : قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال مـا مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع. قال البيهقي فعلى هذا يصيرون كسـائر الأحـياء يكونـون حيث ينزلهم الله تعالى. وروى عبد الرزاق في مصنفه عن

الـثوري عن أبي المقدام عن سعيد ابن المسيب قال ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوما، وأبو المقدام هو ثابت بن هرمز شيخ صالح وأخرج ابن حبان في تاريخه والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحا . وقال إمام الحرمين في النهاية ثم الرافعي في الشرح روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا أكرم على ربي من أن يتركنـي فـي قـبري بعد ثلاث، زاد إمام الحرمين وروي أكثر من يومين. وذكر أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض كتبه حديثا أن الله لا يترك نبيا في قبره أكثر من نصف يوم . وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته .

(فصـل) في حياته صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ وقد دل على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه ومن القرآن قوله تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَن الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيل اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْـيَاءٌ عِنْدَ رَبِهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١) فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت حاصلة لآحـاد الأمـة مـن الشهداء وحالهم أعلى وأفضل ممن تكن له هذه الرتبة لا سيما في البرزخ ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم بل إنما حصل لهم هذه

[ص ٤٨٦]

الرتـبة بتزكيته وتبعيته وأيضا فإنما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة والشهادة حاصلة للنبي صـلى الله عليه وسلم على أتم الوجوه وقال عليه السلام مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى فإنـه وصـفه بالصلاة وأنه كان قائما ومثل هذا لا يوصف به الروح وإنما وصف به الجسـد، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصـه بالقـبر فـإن أحدا لم يقل ان أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد وأرواح الشـهداء أو المؤمنيـن في الجنة. وفي حديث ابن عباس سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال أي واد هذا فقالوا وادي الأزرق فقال كأني أنظر إلى موسى واضعاً أصبعيه في أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الـوادي ثـم سرنا حتى أتينا على ثنية قال كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادي ملبيا، سئل هنا كيف ذكر حجهم وتلبيتهم وهم أموات وهم

---

(١) (آل عمران:١٦٩)

في الأخرى وليست دار عمل وأجيب بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا بما استطاعوا وأنهم وإن كانوا في الأخرى فإنهم في هذه الدنيا التـي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها واعتقبتها الأخرى التي هي دار الجزاء انقطع العمـل. هذا لفظ القاضي عياض فإذا كان القاضي عياض يقول أنهم يحجون بأجسادهم ويفارقون قبورهم فكيف يستنكر مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لقبره فإن النبي صلى الله علـيه وسلم إذا كان حاجا وإذا كان مصليا بجسده في السماء فليس مدفونا في القبر انـتهى. فحصـل من مجموع هذا النقول والأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسـده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال.
الثالث: سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون
[ص ٤٨٧]
في أقطار متباعدة فأنشد :

كالشـمس فـي كـبد السماء وضوؤها يغشـى الـبلاد مشـارقاً ومغاربـاً

وفي مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء عن بعض تلامذته قال حججت فلما كنت في الطواف رأيت الشيخ تاج الدين في الطواف فنويت أن أسلم عليه إذا فرغ من طوافه فلمـا فرغ من الطواف جئت فلم أره ثم رأيته في عرفة كذلك وفي سائر المشاهد كذلك فلمـا رجعت إلى القاهرة سألت عن الشيخ فقيل لي طيب فقلت هل سافر قالوا لا فجئت إلـى الشـيخ وسـلمت عليه فقال لي من رأيت فقلت يا سيد رأيتك فقال يا فلان الرجل الكبـير يمـلأ الكون لو دعي القطب من حجر لأجاب فإذا كان القطب يملأ الكون فسيد المرسـلين صلى الله عليه وسلم من باب أولى. وقد تقدم عن الشيخ أبي العباس الطنجي أنه قال وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسـلم . الرابع: قال قائل يلزم على هذا أن تثبت الصحبة لمن رآه . والجواب أن ذلك لـيس بـلازم أما أن قلنا بأن المرئي المثال فواضح لأن الصحبة إنما تثبت برؤية ذاته الشـريفة جسـدا وروحا. وإن قلنا المرئي الذات فشرط الصحبة أن يراه وهو في عالم الملـك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت وهذه الرؤية لا تثبت صحبته. ويؤيد ذلك أن

الأحاديـث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ولم تثبت الصحبة للجميع لأنها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبته .

(خاتمـة) أخرج أحمد في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق أبي العالية عن رجل من الأنصار قال خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بـه قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الأنصاري لقد قام رسول الله صـلى الله عليه وسلم حتى جعلت ارثي له من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقـد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام قال ولقد رأيته قلت نعم قلـت أتـدري مـن هو قلت لا قال ذاك جبريل مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سـيورثه ثـم قـال أما إنك لو سلمت رد عليك السلام. وأخرج أبو موسى المديني في المعرفة عن تميم

[ص ٤٨٨]

بن سلمة قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ انصرف من عنده رجل فنظرت إليه موليا معتما بعمامة قد أرسلها من وراءه قلت يا رسول الله من هذا قال هذا جبريل. وأخـرج أحمد والطبراني والبيهقي في الدلائل عن حارثة بن النعمان قال مررت على رسـول الله صـلى الله علـيه وسـلم ومعـه جبريل فسلمت عليه ومررت فلما رجعنا وانصـرف النبـي صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل فسلمت عليه ومررت فلما رجعنا وانصـرف النبـي صلى الله عليه وسلم قال هل رأيت الذي كان معي قلت نعم قال فإنه جـبريل وقد رد عليك السلام. وأخرج ابن سعد عن حارثة قال رأيت جبريل من الدهر مرتيـن. وأخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس قلت كنت مع أبي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبي فخرجنا فقال لي أبي يا بني ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني قلت يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه فرجع فقال يا رسول الله قلت لعبد الله كذا كذا فقال أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد قال وهل رأيته يا عبد الله قلت نعم قال ذاك جبريل هو الذي يشغلني عنك. وأخرج ابن سـعد عن ابن عباس قال رأيت جبريل مرتين. وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال عاد رسـول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأنصار فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخـل فلما دخل لم ير أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت تكلم قال يا رسـول الله دخل علي داخل ما رأيت رجلا قط بعدك أكرم مجلسا ولا أحسن حديثا منه

قال ذاك جبريل وإن منكم لرجالاً لو أن أحدهم يقسم على الله لأبره. وأخرج أبو بكر بن أبـي داود فـي كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبـي صـلى الله عليه وسلم. وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن حذيفـة بـن اليمان أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلما يقول اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره أهل أن تحمد إنك على كل شيء قدير اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني عملا زاكياً ترضى به عني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك ملك أتاك

[ص ٤٨٩]

يعلمـك تحمـيد ربـك، وأخرج محمد بن نصر عن أبي هريرة قال بينما أنا أصلي إذ سـمعت متكلما يقول اللهم لك الحمد كله قال فذكر الحديث نحوه. وأخرج ابن أبي الدنيا فـي كـتاب الذكر عن أنس بن مالك قال : قال أبي بن كعب لأدخلن المسجد فلأصلين ولأحمـدن الله بمحامد لم يحمده بها أحد فلما صلى وجلس ليحمد الله ويثني عليه إذا هو بصـوت عال من خلف يقول اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره لك الحمد إنك على كل شيء قدير اغفر لي ما مضى من ذنوبـي واعصـمني فيما بقي من عمري وارزقني أعمالا زاكية ترضى بها عني وتب علـي فـأتى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فقص عليه فقال ذاك جبريل. وأخرج الطبراني والبيهقي عن محمد بن مسلمة قال مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا خده على خد رجل فلم أسلم ثم رجعت فقال لي ما منعك أن تسلم قلت يا رسول الله رأيتك فعلت بهذا الرجل شيئا ما فعلته بأحد من الناس فكرهت أن أقطع عليك حديثك فمـن كان يا رسول الله قال جبريل. وأخرج الحاكم عن عائشة قالت رأيت جبريل واقفا في حجرتي هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيه فقلت يا رسول الله من هذا قال بمـن شبهته قلت بدحية قال لقد رأيت جبريل. وأخرج البيهقي عن حذيفة قال صلى بنا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ثم خرج فتبعته فإذا عارض قد عرض له فقال لي يا حذيفـة هل رأيت العارض الذي عرض لي قلت نعم قال ذاك ملك من الملائكة لم يهبط إلـى الأرض قـبلها استأذن ربه فسلم علي وبشرني بالحسن والحسين أنهما سيدا شباب أهـل الجـنة وأن فاطمـة سيدة نساء أهل الجنة. وأخرج أحمد والبخاري تعليقا ومسلم والنسـائي وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة عن أسيد بن حضير أنه بينما هو

يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالـت فسكت فسكنت فرفع رأسه إلى السماء فإذا هي بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس

[ص ٤٩٠]

إلـيها لا تـتوارى منهم. وأخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الرحمن ابن عوف قال رأيـت يوم بدر رجلين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما وعن يساره أحدهما يقاتلان أشد القتال ثم ثلثهما من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه . وأخرج إسحاق ابن راهويه فـي مسـنده وابن جرير في تفسيره وأبو نعيم البيهقي كلاهما في دلائل النبوة عن أبي أسـيد السـاعدي رضـي الله عنه أنه قال بعد ما عمي لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصـري لأخـبرتكم بالشـعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى، وأخرج البيهقي عن أبي بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتهن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أما رأسان فقتلتهما وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبـيض طويلا ضربه فأخذت رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك فلان من الملائكة. وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال كان الملك يتصور في صورة من تعرفون من الناس يثبتونهم فيقول إني دنوت منهم فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء فذلك قوله تعالى ﴿ إِذْ يُوحِي رَبكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَني مَعَكُمْ فَثَبتُوا الذِينَ آمَنُوا ﴾(١). وأخرج أحمد وابن سعد وابن جرير وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وكان أبو اليسر رجلا جموعا وكان العباس رجلا جسـيما فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم، وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب قال يا رسول الله ارني جبريل في صورته قال أقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفع طـرفك فـرأى قدمـيه مثل الزبرجد الأخضر، وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والطبرانـي في الأوسط عن ابن عمر قال بينا أنا أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من

---

(١) (الأنفال: من الآية١٢)

حفـرة فـي عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه

[ص ٤٩١]

فإنـه كافـر ثـم ضربه بالسوط حتى عاد إلى حفرته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخـبرته فقـال لـي أو قـد رأيته نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القـيامة، محـل الاسـتدلال رؤيته الرجل الذي خرج عقبه وضربه بالسوط فإنه الملك الموكـل بتعذيـبه، وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وابن عساكر من طريق عروة بن رويـم عن العرباض بن سارية الصحابي رضي الله عنه أنه كان يحب أن يقبض فكان يدعو اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك قال فبينما أنا يوما في مسجد دمشق وأنـا أصـلي وأدعو أن أقبض إذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه رواج أخضر فقـال ما هذا الذي تدعو به قلت وكيف أدعو قال قل اللهم حسن العمل وبلغ الأجل قلت مـن أنت يرحمك الله قال أنا رتابيل الذي يسل الحزن من صدور المؤمنين ثم ألتفت فلم أر أحدا، وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن سعيد بن سنان قال أتيت بيت المقدس أريد الصلاة فدخلت المسجد فبينما أنا على ذلك إذ سمعت خفيفا له جناحان قد أقبل وهو يقول سـبحان الدائـم القـائم سبحان الحي القيوم سبحان الملك القدوس سبحان رب الملائكة والـروح سـبحان الله وبحمده سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى ثم أقبل خفيف يتلوه ويقـول مثل ذلك ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها حتى امتلأ المسجد فإذا بعضهم قريب مني فقال آدمي قلت نعم قال لأروع عليك هذه الملائكة.

(تذنيـب) ومما يمكن أن يدخل هنا ما أخرجه أبو داود من طريق أبي عمير بن أنـس عـن عمومة له من الأنصار أن عبد الله بن زيد قال يا رسول الله إني لبين نائم ويقظـان إذ أتانـي آت فأرانـي الأذان وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما. وفي كتاب الصلاة لأبي نعيم الفضل بن دكين أن عبد الله بن زيد قال لولا اتهامي لنفسي لقلت أني لم أكن نائما . وفي سنن أبي داود من طريق ابن أبي ليلى جاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله رأيت رجلا كأن عليه ثوبين أخضرين فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها إلا أنه يقول قد قامت الصلاة ولولا أن يقول الناس لقلت أني كنت يقظانا غير نائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أراك الله خيرا. فقال الشيخ

[ص ٤٩٢]

ولي الدين العراقي في شرح سنن أبي داود قوله أني لبين نائم ويقظان مشكل لأن الحال لا يخلـو عن نوم أو يقظة فكان مراده أن نومه كان خفيفا قريبا من اليقظة فصار كأنه درجة متوسطة بين النوم واليقظة. قلت أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التي تعتري أرباب الأحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضي الله عـنهم هـم رؤس أرباب الأحوال . وقد ورد في عدة أحاديث أن أبا بكر وعمر وبلالاً رأوا مـثل ما رأى عبد الله بن زيد. وذكر إمام الحرمين في النهاية والغزالي في البسيط أن بضـعة عشر من الصحابة كلهم قد رأى مثل ذلك. وفي الحديث الذي نادى بالأذان فسـمعه عمـر وبلال وجبريل أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، ويشبه هذا ما أخـرجه ابـن عساكر في تاريخه عن محمد بن المنكدر قال دخل رسول الله صلى الله علـيه وسلم على أبي بكر فرآه ثقيلا فخرج من عنده فدخل على عائشة ليخبرها بوجع أبـي بكـر إذ دخل أبو بكر يستأذن فدخل فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتعجب لما عجل الله له من العافية فقال ما هو إلا أن خرجت من عندي فغفوت فأتاني جبريل عليه السلام فسطعني سطعة فقمت وقد برأت فلعل هذه حال لا غفوة نوم.

تم بحمد الله